الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الأشقياء ، ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار إليه ندعو وإليه المآب ، ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب ، أما بعد فأُوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله جل وعز فهي مداد العمر وختامه ، وأساس الخير وقِوامه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (١)

أيها الناس : مر بنا موسم الحج ومر كطيف خيال بل هو أسرع وأعجل ، وأعمارنا تنقضي قبل انقضاء المواسم وتنتهي ، ويأتينا الموت بغتة ويلاقينا ، حتى نكون صرعى لأعمالنا فإما خير نُقدم إليه وإما غير ذلك نسأل الله أن يجنبنا طريق الغواية .انقضى رمضان والحج والعام ، ويبقى وجه ربنا ذو الجلال والإكرام ، انتهى موسم الحج ، وعبره حاضرة ، ومواعظه ظاهرة ، وخيراته زاهرة ، ورحماته شاملة ، ولطائفه عامرة .

أيها المسلمون : الحج أعظم عبرة للمؤمنين وأكبر دليل للموقنين على أن المؤمنين بوحدتهم وتوحدهم ، وتوحيدهم أقوياء ، وبالشرك والمعصية ضعفاء ، فكم تلاحم الحجاج ، وترابطوا ، وتعاون العربي مع الأعجمي ، والأحمر مع الأسود ، والأبيض مع الأحمر .من الذي جمعهم وربط قلوبهم ؟؟ هو الله جل جلاله جمعهم بغير قصد منهم أو تحديد . يسر لهم الطريق وفتح لهم السبل ؛ ليصلوا لأعظم البقاع وأفضل الأرض ؛ ليعلنوا التوحيد في لبيك اللهم لبيك وفي الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفات ورمي الجمار (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) (٢) (واذكروا الله في أيام معدودات) (٣) ، وعن عائشة قالت : (إنما جعل الطواف بالبيت ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله) (٤)

أيها الموحدون : إن الحج توحيد وذكر وعبادة ومنة من الله على عباده ، فكلما تزود العبيد من الطاعة رقت قلوبهم ، وكثرت حسناتهم ، ومُحيت سيئاتهم ،وإن المعصية توجب وحشة ، وتورث ذلا ، وإن التوبة تهدم الجبال وتُدمر الإشراك والشرك ، إن الحج كله توبة وأوبة ، ورجوع وندم ، وتضرع وخوف ووجل ممن عصيناه

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٢ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٠٣ .

(٤)قال أبو عاصم كان يرفعه قال حسين سليم أسد : إسناده حسن أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وأخرجه أحمد ، وقال الألباني ضعيف في المشكاة (٢٦٢٤) ، وفي ضعيف أبي داود (٣٢٨)

ويُمهلنا ، ونظن به ظن السوء ويُكرمنا ،قال ابن المبارك : جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة و هو جاث على ركبتيه و عيناه تهملان فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالا ؟ قال : الذي يظن أن الله لا يغفر لهم و روي عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس و بكائهم عشية عرفة فقال : أرأيتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا دانقا ـــ يعني سدس درهم ـــ أكان يردهم قالوا : لا قال : و الله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق (٥)

أيها المتقون : إن قدوم الحاج يذكر بالقدوم على الله تعالى قدم مسافر فيما مضى على أهله فسروا به و هناك امرأة من الصالحات فبكت و قالت : أذكرني هذا بقدومه القدوم على الله عز و جل فمن مسرور و مثبور قال بعض الملوك لأبي حازم : كيف القدوم على الله تعالى ؟ فقال أبو حازم : أما قدوم الطائع على الله تعالى فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه و أما قدوم العاصي فكقدوم العبد الآبق على سيده الغضبان (٦) فمن رجع من حجه فليستمر على طاعته ، وليدم توبته ، قال بعض الحكماء من أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب (٧) ولنعلم أن علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها و علامة ردها أن توصل بمعصية ما أحسن الحسنة بعد الحسنة و أقبح السيئة بعد الحسنة ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها النكسة أصعب من المرض الأول ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل و غني قوم بالذنوب افتقر سلوا الله الثبات إلى الممات و تعوذوا من الحور بعد الكور كان الإمام أحمد يدعو و يقول : اللهم أعزني بطاعتك و لا تذلني بمعصيتك و كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم : اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة في بعض الآثار الإلهية يقول الله تبارك و تعالى : أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز (٨)

---

(٥)لطائف المعارف (ص: ٣١٠)

(٦)لطائف المعارف (ص: ٧٣)

(٧)إحياء علوم الدين (١/ ٢٠٦)

(٨)لطائف المعارف (ص: ٦٨)

يا معاهدينا على التوبة بيننا و بينكم عهود أكيدة أولها : يوم { ألست بربكم }(٩) فقلتم بلى و المقصود الأعظم من هذا العهد : أن لا تعبدوا إلا إياه و تمام العمل بمقتضاه : أن اتقوا الله حق تقواه و ثانيهما : يوم أرسل إليكم رسوله و أنزل عليكم في كتابه : { و أوفوا بعهدي أوف بعهدكم } (١٠) قال سهل التستري : من قال لا إله إلا الله فقد بايع الله فحرام عليه إذ بايعه أن يعصيه في شيء من أمره في السر و العلانية أو يوالي عدوه أو يعادي وليه (١١)

أيها الأحبة :من رجع من الحج فليحافظ على ما عاهد الله عليه عند استلام الحجر حج بعض من تقدم فبات بمكة مع قوم فدعته نفسه إلى معصية فسمع هاتفا يقول : ويلك ألم تحج فعصمه الله من ذلك قبيح بمن كمل القيام بمباني الإسلام الخمس أن يشرع في نقض ما يبني بالمعاصي (١٢) .ولنعلم أن الحاج إذا كان حجه مبرورا غفر له و لمن استغفر له و شفع فيمن شفع فيه و قد روي : [إن الله تعالى يقول لهم يوم عرفة : أفيضوا مغفورا لكم و لمن شفعتم فيه] و روى الإمام أحمد بإسناده عن أبي موسى الأشعري قال : [إن الحاج ليشفع في أربعمائة بيت من قومه و يبارك في أربعين من أمهات البعير الذي يحمله و يخرج من خطاياه كيوم ولدته أمه فإذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور و دعاؤه مستجاب فذلك يستحب تلقيه و السلام عليه و طلب الاستغفار منه] (١٣)

أيها الأحبة : من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه من عجز عن المبيت بمزدلفة فليبت عزمه على طاعة الله و قد قربه و أزلفه من لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف فليقم لله بحق الرجاء و الخوف من لم يقدر على نحر هديه بمنا فليذبح هواه هنا و قد بلغ المُنا من لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه

---

(٩) **سورة الأعراف ، آية : ١٧٢.**

(١٠) **سورة البقرة ، آية : ٤٠ .**

(١١)لطائف المعارف (ص: ٦٨)

(١٢)لطائف المعارف (ص: ٦٨)

(١٣)لطائف المعارف (ص: ٦٨)

أقرب إلى من دعاه و رجاه من حبل الوريد نفحت في هذه الأيام نفحة من نفحات الأنس من رياض القدس على كل قلب أجاب إلى ما دُعي .

يا همم العارفين بغير الله لا تقنعي يا عزائم الناسكين لجمع أنساك السالكين اجمعي لحب مولاك أفردي و بين خوفه و رجائه اقرني و بذكره تمتعي يا أسرار المحبين بكعبة الحب طوفي و اركعي و بين صفاء الصفا و مروة المروى اسعي و أسرعي و في عرفات الغرفات قفي و تضرعي ثم إلى مزدلفة الزلفى فادفعي ثم إلى منى نيل المنى فارجعي فإذا قرب القرابين فقربي الأرواح و لا تمنعي لقد وضح الطريق و لكن قل السالك على التحقيق و كثر المدعي (١٤)

كتبه

سعد بن عبدالله السبر

إمام وخطيب جامع الشيخ عبدالله الجارالله رحمه الله

المشرف العام على شبكة السبر

www.alsaber.net

١٤٣٢/١٢/١٥

(١٤)لطائف المعارف (ص: ٣١٠)